

أزمة الشباب المعاصر

تختلف نظرة الناس للعصر الذي نعيش فيه؛ فالبعض لا يرون في الأمر أية أزمات أو مشاكل، والبعض الآخر يرى أن العالم أصبح مثل سدوم وعمورة، والبعض الثالث يؤكد أن الحياة المسيحية ممكنة مهما كانت ظروف العصر، حسب وعد الله المبارك: **"حيث كثرت الخطية ازدادت النعمة جداً"** (رو ٥ : ٢٠) ولكن قطعاً هناك بعض المشاكل التي نشأت نتيجة الظروف المتغيرة والتطورات العصرية. هناك تغيير في كل شيء حتى في الحرب، فأصبحنا نسمع عن حرب التكنولوجيا والحرب الإلكترونية وما إلى ذلك. والمشاكل الجديدة تأتي إلى مجتمعنا من الغرب، حيث سبق العلمي والتكنولوجي، في أرض لا تتمتع بالتراث الروحي الذي للشرق. والذي يعيننا فقط هو سرعة تقليد الغرب في أخطائه.

وسوف نعرض هنا.. في لمحات سريعة.. لخمسة مشكلات عصرية ونعرف من روح الله كيفية مواجهتها:

أولاً: مشكلة الألحاد

وهي أخطر مشكلة في الخارج؛ فالتقدم العلمي السريع الذي بهر أذهان الناس دفعهم.. على غير الواجب.. إلى نوع من الألحاد الحديث، فيه يرفضون الله، ويعبدون آلهة من صنع البشر: كالنظريات المادية للحياة والمجتمع، أو الأفكار الجديدة، أو حتى الإنسان نفسه. منذ عشر سنوات كانت فرنسا.. وهي دولة مسيحية كما نعلم.. تعدادها ٤٥ مليوناً، بينما المقيدين مسيحيين في شهادات الميلاد كانوا ٩ مليون فقط، وأكثرهم بعيدون عن الكنيسة. ونلاحظ أنه حتى في الخارج الريف مازال يحتفظ بهدوئه واستعداده الروحي أكثر من المدن الكبيرة، ذلك لأن تيار المدينة الحديثة الجارف أبعد الناس عن بساطة الإيمان، لقد أعجب الإنسان بنفسه لما أذهله التقدم العلمي الحديث، فبدأت تنتشر بين الشباب موجات الإلحاد وأفكار الوجوديين الملحدين، حتى

الأطفال بدأوا يناقشون الأمور الإيمانية ويتساءلون فيما بينهم بخصوصها.

لكن التقدم العلمي.. في الواقع.. ليس هو سبب الإلحاد! فالإلحاد مشكلة شخصية ذاتية مبنية على تعلق الإنسان بسلوك معين منحرف يورق ضميره. فلكي يخدع ضميره ينكر وجود الله! إنه مجرد محاولة للتخلص من ذلك الصوت الإلهي الذي يقودنا إلى التوبة! وليس هناك ملحد حقيقي واحد، حسب تعبير القديس أوغسطينوس. الإلحاد موضوع مفتعل، وكلنا مؤمنون، ولن نستريح إلا في حضن الله! ففي أعماقنا نداء باطني. يؤكد لنا وجود الله ويدعونا إلى الراحة الكاملة فيما بين يديه.

أن المجتمعات المتقدمة علمياً واقتصادياً، لتعطينا أعظم دليل على أهمية الإيمان للنفس البشرية؛ فرغم تقدمها هذا نرى تزايداً مستمراً في الأمراض النفسية والاضطرابات العصبية! هناك فراغ روحي نفسي في داخل الإنسان، وهذا الفراغ لا يملأه إلا شخص المسيح! إن السر العميق الذي

يكمن وراء سلامة النفس البشرية روحياً ونفسياً هو في وجود الرب داخل حياتنا. فلا الطعام ولا المادة والمراكز ولا الزوجة تعطينا هذا السلام السمائي الثابت، فالمسيح **"هو سلامنا"** ! (اف ٢ : ١٤).

ويجب أن تستعد الكنيسة لدراسة هذه التيارات المعاصرة وتفحص مصادرها وأسبابها، وتقدم للشباب المعاصر النور الإنجيلي اللازم، والصخرة المسيحية الراسخة، ليقف شبابنا على أرض صلبة مستنيرة بالروح القدس وشبعي بالكلمة الإلهية. لقد صمدت كنيستنا في كل العصور أمام كل تيار جديد، فتأسست مدرسة الإسكندرية اللاهوتية لتستوعب أفكار الوثنيين وتواجهها. ومن هنا سمعنا كيف أن اوريغانوس كان ينتظم في المدارس الوثنية ليخرج فيما بعد مدافعاً عن المسيحية وهادياً للوثنيين إلى الإيمان بالمسيح.

نحتاج إلى تعبئة علمية وروحية لنواجه التيارات المضادة، والأفكار المعاصرة، والهجمات التي يشنها البعض

على أساسيات الإيمان المسيحي: كسر الثلاث الأقدس، ولاهوت السيد المسيح، والتجسد الإلهي، والصليب المقدس نحن في حرب روحية ضارية، يجب أن نسلح شبابنا لها، فلا يتخاذل أمامها بل يصمد وينتصر.

ثانياً: مشكلة القلق

هذه طبيعة القرن العشرين، فأمراض العصر الحديث كالضغط والذبحة والقرحة جاءت نتيجة الإرهاق النفسي والعصبي، والخوف والقلق. إنسان العصر الحديث يحيا منذ طفولته في قلق دائم؛ فهو يستعد لامتحان القبول، ثم الإعدادية، ثم الثانوية، ثم الجامعة، والمستقبل، وتكوين الأسرة، ويفكر في الهجرة ليحصل على وضع مادي أفضل أو يعاني مشكلة التعيين في بلد بعيد... وهكذا تجد أن حياة الإنسان صارت سلسلة من المخاوف والأمور المقلقة. الأب خائف على مستقبل أولاده، والأم خائفة على بناتها من الانحرافات الجديدة، والاستقرار الذي كان سمة أساسية للماضي صرنا نفتقر إليه الآن كثيراً!.

ما العلاج؟ ليس سوى الإيمان! فما الخوف إلا ضعف إيمان. والإيمان يكتسبه الطفل منذ نعومة أظافره وهو بعد في البيت، ثم في جو الخدمة الكنيسية، ثم يتقوى تدريجياً بالتجارب. لقد عاش آباؤنا بأقل شيء، وكان شعارهم قول الرسول: **"إن كان لنا قوت وكسوة فلنكتف بهما"** (٢ تي ٦ : ٨) فكانوا دائمي الشكر لله من أجل كل حال، حتى في عز الاضطهاد والضيق!

قابلت إنساناً كان قد هاجر إلى الخارج، واقتنى ثروة واسعة، ولكنه كان خائفاً لئلا تضيع الثروة، أو تُسرق، أو يمرض، أو يموت فجأة! الخوف أحساس رهيب يدمر النفس، والإيمان بالمسيح سلاحنا الوحيد لنقهر الخوف. الإيمان هو الذي انتصر به يوسف في بيت فوطيفار واثقاً من وجود الله معه في البيت، والإيمان هو الذي قهر به دانيال جب الأسود، والإيمان هو الذي تمسك به نحميا فبنى أسوار أورشليم في ظروف مُرة ومشعبة!

إن كثرة التذمر والشكوى التي نبيدها أمام أولادنا ستنتج لنا جيلاً من الضعفاء الخائفين، وحاجيتنا اليوم هي إلى سماع صوت الرب: **"أنا هو، لا تخافوا"** (مر ٦ : ٥٠) بالإيمان نغلب القلق، ونحطم الخوف، حتى لو صار إيماننا بالمسيح سبب هزء أو تعيير! إيماننا الحي هو الرد العملي، البرهان الواضح، على صحة الطريق المسيحي وحاجة النفس البشرية إليه.

حين نستخدم أسلوب الحسابات، نقف عن عمل الله ويتخلى الله عنا، وحينما نبدأ نخبر يد الله المقتدرة في إنجاز العمل، هذه خبرة الكنيسة باستمرار، وخبرة الإنجيل. لقد استخدم فيلبس هذا الأسلوب فقال للرب: ما هذا لهؤلاء؟ لا يكفيهم خبز بمائتي دينار!! ومد الرب يده الأمانة فبارك في القليل ليصبح كثيراً ويفيض. كنيسة غنية بالإيمان، ولا يليق أن نضيع هذا التراث بضعفنا. ليتنا نسلم هذا السلاح لأولادنا ليقفوا به في اليوم الشرير، ويحاربوا حروب الرب وينتصروا على الخوف والقلق. ليتنا نسلمهم

روح الرضى والشكر والثقة المطلقة في إله محب قادر
على كل شيء!

ثالثاً: مشكلة الحرمان من العطف

يقولون عن الشعب المصري أنه عاطفي، وأن شعوب العالم بدأت تفقد العاطفة. ومع أن الأم هي الأم، إلا أنها بدأت تفقد العاطفة أمام ضغوط المجتمع الحديث؛ فهي تعمل من الصباح الباكر إلى المساء المتأخر، وطفلها متروك لإحدى دور الحضانة يفقد العطف والحنان فلا يجدهما. ولقد أرادت إحدى السيدات أن تلخص مشاكل العصر فقالت: إن مشكلات العصر الحديث سببها أن الأولاد الآن صاروا "تربية ثلاجة" وليسوا "تربية أم"!

الجيل الجديد محروم من العطف، لدرجة أن رجال التربية ينصحون الأم التي تضطر إلى استخدام لبن صناعي لأولادها أن ترضعهم إياه وهم في حضنها. الحرمان العاطفي سبب أساسي لكثير من مشاكل العصر؛ فالفتاة المحرومة من الحنان تتجاوب بسرعة مع أي لمحة عطف ولو من

شاب غير مسيحي! وكثيراً ما لاحظنا كيف تُفضل الفتاة عاطفة شاب يقل عنها كثيراً في المستوى الاجتماعي، على المتع المادية الكثيرة في بيت أبيها. البيت الذي يُحرم أطفاله من العطف بسبب انهماك الوالدين في العمل، يزرع في الأطفال بذرة الانحراف والتمرد وسرعة الانزلاق.

البيت هو المدرسة الأولى للطفل، والخلافات العائلية التي مزقت غالبية الأسر المسيحية، يستحيل أن ينشأ معها شاب هادئ وسوي. نحن نسلم أولادنا الإيمان، حسب قول الرسول لتلميذه ثيموثاوس: **"الإيمان... الذي سكن أولاً في جدتك لوئيس وأمك افنيكي ولكني موقن أنه فيك ايضاً"** (٢ تي ١ : ٥) والاسرة التي تلتف يومياً حول مذب الصلاة العائلي، وكلمات الإنجيل المقدس، ينشأ شبابها في هدوء نفسي وشعب روجي وحب للقداسة

تقابلت في الخارج مع أم غير موظفة، افتتحت في بيتها داراً مصغرة للحضانة، ولكن سرعان ما اغلقتها. والسبب أنها خشيت على أولادها من الأولاد الآخرين أذ شعرت أنهم

غير طبيعيين وكلهم مشاكل لأنهم أبناء والدين مطلقين (حيث نسبة الطلاق في الخارج أصبحت أكثر من ٨٠ %). حاجتنا الملحة الآن إلى الأسرة المتحابة التي تعلم أولادها الحب وتبطل ما فيهم من أنانية.

رابعاً: مشكلة الحياة في دوامة

لقد حرمت المدينة إنسان القرن العشرين من وقت فراغ مناسب يهدأ فيه إلى نفسه، ويقراً، ويرتبط بأفراد أسرته وأصدقائه في محبة مسيحية سليمة. لم يعد الإنسان دقائق يخلو فيها بنفسه كل يوم، ولا فرص خلوة أسبوعية فيها نحدد مع المسيح معالم الطريق، ونتخلص من ضعفاتنا وخطايانا، ونشبع بشخص الرب، ونصلي من أجل الآخرين. إنسان القرن العشرين يُريح الآلة، ولا يستريح هو!! إنه يجري في تدافع عجيب صاخب، وانهماك مذهل في العمل، واقتناء المادة.. ثم يسقط.. للأسف.. من شدة الإرهاق. يجب أن نهدأ، وأن نخصص لأنفسنا فرص التأمل الهادئ وفحص النفس الخلوة المشبعة.

خامساً: مشكلة الانحلال الخلقي

لا جديد في طبيعة الشاب أو الشابة، بل الجديد هو في وسائل الإثارة؛ كيف يتفنن كل منهما في جذب انتباه الآخر؟! وإذا يترك الإنسان زمام حياته للشهوة يتحول إلى أسير لها وعبد لمطالبها المهلكة.

الطاقة الجنسية الكبيرة لا يجب أن تزعجنا، بل بالحري فلتكن سبب نمو وابتكار ونشاط وخدمة. كم يحتاج شبابنا إلى تجنب الإثارات! كم من شاب يفضل أن يسير مسافات طويلة حتى يتجنب عثرات وسائل المواصلات!

يجب أن يأخذ الشاب موقفاً واضحاً ومحددًا من طريق المسيح، ويجب ان تأخذ الكنيسة موقفاً واضحاً ومحددًا من مبتكرات الاثارة. قابلت شاباً في الخارج حدثني عن كراهيته للخطية، ولما سألته عن انتظامه في الكنيسة علمت أنها سر عثرته وتعبه! نحن نسير في نفس التيار، ما لم نأخذ موقفاً واضحاً ومحددًا، وما لم ندعو شبابنا إلى حياة مسيحية أصيلة متعمقة. إن انحرافات الشباب اليوم

سببها القلق والاضطراب، وهم في حاجة إلى نور المسيح
وصدره الواسع. نحن بالمسيح شباعي بالنعمة، منتصرين
على الشر، وفائضون سلاماً.

وليس ثمة مشاكل في هذا العصر، بل المشكلة الحقيقية
تكن في سطحية أبناء المسيح، فلو ضربوا بجذورهم في
الأعماق لتحولوا إلى مناره تهدي شباب العصر المتخبط في
الظلام.

فليعطينا الرب عمقاً ونعمة، له المجد الدائم إلى الأبد
آمين.